بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

● منذ نشأة الفكر الإسلامى، فى العصر الأول من الإسلام، برزت مشكلة من أهم المشاكل الفكرية والعقائدية، لدى المسلمين. بل لعل لها جذوراً قديمة قبل ذلك. وما زالت هذه المشكلة تشغل عقول الكثير من المسلمين وغير المسلمين حتى الآن.

● وهى تتلخَّص فى هذا السؤال: هل الإنسان مُسيَّر أم مُخَيَّر ..؟ .. وما يتبع ذلك من أسئلة أخرى. هل الإنسان هو خالق أفعاله أم أن الله هو خالقها كما هو خالق كل شئ..؟ .. وإذا كان الله هو خالق الأفعال .. فهل الإنسان هو المريد لأفعاله أم أن الله هو المريد لكل شئ بما فى ذلك أفعال الإنسان ..؟.

● ونحن .. إذا رجع أى إنسان منَّا، إلى نفسه، فسيجد أن هذه الفكرة، قد طرأت على تفكيره، فى وقت من الأوقات .. أو فى أوقات مُتعدِّدة؛ وأنه قد تَحيَّر فى الإجابة على هذا السؤال الشهير: هل الإنسان مسير أم مخيَّر .. أو – هل الإنسان مُجْبَر فى أفعاله أم أنه حرٌّ فيها ..؟ .. أو – بمعنى آخر – هل الأفعال التى يفعلها الإنسان، تكون بإرادته، أم بالإرادة الإلهية ..؟

● وفى هذه الدراسة البسيطة، سوف نحاول الإجابة على كل هذه الأسئلة،

من واقع النَّبْع الصافى .. وهو القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. مع عرض عدد من الآراء المختلفة، التى اهتمَّتْ بالبحث فى هذه المشكلة .. والتى تمثل الفكر الإسلامى على مدى العصور السابقة.

● وقد عُرِفَتْ هذه المشكلة، باسم «القضاء والقدر»؛ أى قضاء الله وقدره وصلته بأعمال الإنسان.

● وهى مشكلة، لأن الآراء، تضاربت حولها، منذ ذلك التاريخ القديم وحتى اليوم. كلٌّ يُريدُ أن يُدْلى برأيه؛ وخاصَّةً الفِرَق الإسلامية، والفلاسفة المسلمون وغير المسلمين .. بل والإنسان العادى فى كل الأزمنة، مُنشَغِلٌ بها.

● وسوف نعرض هنا آراء الفرق الإسلامية الرئيسية الثلاثة؛ وهى: الجبرية – المعتزلة – الأشاعرة. كما سنعرض آراء الفيلسوفين الشهيرين الإسلاميين: الغزالى وابن رشد، كممثلين عن انفلاسفة الإسلاميين.

● ثم نرى – بعد ذلك – مدى توفق هذه الآراء جميعا، مع الشريعة الإسلامية الصافية، المنقَّاة من شوائب الأغراض والفِتَن؛ والمتمثلة فى القرآن الكريم، وسنة الرسول الأعظم محمد ﷺ.

● وهذه المشكلة، هى من المشكلات التى تثبت قصور العقل الإنسانى. وهى أيضا من المشكلات التى يمكن أن تَهُزَّ إيمان الفرد، إن لم يكن هذا الإيمان قويًّا راسخًا. ولذلك .. فقد نَهَى الرسول ﷺ عن الخَوْضِ فيها، فى البدايات الأول للإسلام خوفًا من الفتنة. فإذا ما رَجَعَ الإنسان إلى نصوص الدين – القرآن والسنَّة – فإننا نجد – كما فهمَ الكثيرون ممَّنْ بحثوا هذه المشكلة – فى ظاهرها التعارض فيزداد الإنسان حيرةً وقلقًا. ولكن ..! بعد إمعان وتَفحُّص دقيق، باستعمال هذا العقل الذى وهبه الله للإنسان .. فى

صفاء .. وبكل طاقته؛ فإننا لن نجد هناك أىَّ تعارض. فهذا كتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُه من لَدُنْ حكيم عزيز .. بل إننا نجد تكامُلاً وترابُطًا، بين آياته وألفاظه؛ وكذلك بينه، وبين أقوال الرسول الصادق الأمين. فما أضْألَ الإنسان، بجانب خالق الإنسان .. ذى الحكمة البالغة. فهو الحكيم العليم.

● لذا .. فإن هذه الدراسة، سوف تُدَعَّم – أساسًا – بعرض تحليلى، لما جاء فى كتاب الله العزيز، وسنة رسوله محمد ﷺ؛ فيما يتعلق بهذه المشكلة. فلعلّنا – فى النهاية – نصل إلى مفهوم سليم، يُريحُ العقل، ويطمئن القلب، ويُبعِدُ الحيرة والقلق والخوف على المصير.

* * *